

توظيف الخطاب السياسي في الدراما التلفزيونية

- خطاب الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" في مسلسل "فلوجة" أنموذجاً -

Employment of political discourse in television drama

- The speech of Tunisian President "Habib Bourguiba" in "Fallujah" series as a model -

رحمة بن جديد¹*¹ جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر)، bendjedid.rahma@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2024-09-17 تاريخ القبول: 2024-11-04 تاريخ النشر: 2024-12-19

ملخص البحث

يعتبر الخطاب السياسي أحد أهم أدوات الاتصال السياسي وأكثرها تأثيراً لاسيما في عصر الاتصال الجماهيري، ويعد أيضاً - من المنظور الإعلامي - مادة إعلامية تشكل جزءاً من المضامين التي تبني عليها السياسات الإعلامية للمؤسسات، وهو يرتبط عادة بمواد جدية تسعى للإخبار وبناء الرأي كالتنشرات الإخبارية أو البرامج الحوارية، ولكن يمكن كذلك توظيف الخطاب السياسي لأهداف أخرى غير تلك الأساسية التي وجد من أجلها وهو حال حضور خطاب "بورقيبة" في مسلسل "فلوجة".

حيث جاءت هذه الدراسة ساعية إلى تسليط الضوء على الخطاب السياسي للرئيس التونسي السابق "الحبيب بورقيبة" الذي تم توظيفه في المسلسل التونسي "فلوجة" بأكثر من طريقة، وذلك من خلال التحليل الكيفي وتوصلت إلى أنه تم الإعتماد أساساً على مقتطفات من ثلاث خطابات رسمية للرئيس التونسي، إضافة إلى علامات تضمينية أخرى.

كلمات مفتاحية: الخطاب السياسي؛ الدراما التلفزيونية؛ قناة الحوار التونسي؛ مسلسل فلوجة؛ الحبيب بورقيبة.

Abstract:

Political discourse is considered one of the most important and influential tools of political communication, especially in the era of mass communication. It is also considered - from a media perspective - a media material that forms part of the

* المؤلف المرسل: رحمة بن جديد

contents on which institutions' media policies are built. It is usually associated with serious material that seeks to inform and build opinion, such as news or talk shows, but political discourse can also be used for goals other than the basic ones for which it was created, which is the case with the presence of "Bourguiba's" speech in the "Fallujah" series.

This study sought to shed light on the political discourse of former Tunisian President Habib Bourguiba, which was used in the Tunisian series "Fallujah" in more than one way. Through qualitative analysis, I concluded that the reliance was mainly on excerpts from three official speeches by the Tunisian president, in addition to other implicit signs.

Keywords: Political discourse; Television drama; Elhiwar Ettounsi channel; Fallujah series ; Habib Bourguiba.

1. مقدمة:

تعتبر المسلسلات الدرامية اليوم أحد أهم المواد الإعلامية التي تعتمد عليها القنوات العمومية أو الخاصة، لما لها من مكانة وطلب عند الجمهور المتابع ولكونها أحد المواد القليلة التي مازالت المؤسسات الإعلامية التلفزيونية تنافس من خلالها التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال وتسعى للحفاظ على مكانتها عبرها .

وتشغل المسلسلات الدرامية حيزاً مكانياً وزمانياً كبيراً من الخريطة البرمجية لمعظم القنوات، لأن هذه الأخيرة تعتمد عليها في تحقيق الموازنة الاقتصادية، فالجمهور الذي يطلب عرض المسلسلات من جهة يقابله المعلن الذي يطلب تلبية رغبة الجماهير من الجهة الأخرى كشرط أساسي حتى يعرض إشهارة من خلالها، وهو ما يجعل من المستحيل على القنوات التي تسعى للإستمرارية والبقاء أن تتخلى عن عرض المسلسلات أو أن تستغني عن الإعتماد على مداخيل الإشهارات .

وعلى الجانب الآخر من عرض هذه المضامين الإعلامية وتفاعل الجمهور معها، فلا شك أن صناعة الدراما اليوم والمسلسلات على وجه الخصوص أصبحت من أكبر مجالات الصناعات السمعية البصرية، التي ترصد لها ميزانيات ومؤهلات بشرية تكاد توازي مايرصد لتحقيق وظيفة الإعلام ونشر الأخبار.

تعتمد الدراما التلفزيونية على العديد من المؤثرات الحسية والأساليب الإقناعية حتى تنجح في جذب المشاهد وإرضائه وحمله على التصديق بواقعية الأحداث والحبكات ومواصفات الشخصيات، كما تعتمد في الكثير من الأحيان على الإستعانة بمواد إعلامية أخرى تحقيقاً للهدف المنشود كما هو الحال في المسلسلات التاريخية، أو القانونية، أو الطبية، أو الموسيقية، أو الفنية، أو الاجتماعية... ومن أمثلة تلك المواد المدرجة اعتماد الخطاب السياسي في الدراما، إذ يختلف توظيفه من مسلسل لآخر حسب الأحداث والسياق والهدف بطبيعة الحال.

ويعد الخطاب السياسي أحد أهم الأنشطة السياسية والمواد الإعلامية جماهيرية وتأثيراً من ناحيتي الشكل والمضمون، كما ثبت أن له دوراً فعالاً في الإقناع وصناعة القرار لدى جماهير المتلقين والناخبين، خصوصاً الفترات التاريخية التي كان يعتمد فيها عليه بشكل أساسي للتسويق السياسي، عن طريق الحامل السمعي البصري المنتشر وقتها وهو التلفزيون.

سجل الخطاب السياسي التونسي حضوره في تاريخ الخطاب السياسي العربي والعالمي، من خلال خطابات الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" التي اعتبرت أحد أهم أدوات الممارسة السياسية التي أتقنها والتي ساهمت في وصوله إلى الحكم وتوليئه الرئاسة واستمراره في المنصب لعقود بل وساعدت حتى في تجاوزه لعدة أزمتات وطنية وعربية، مثل انتفاضة الخبز التي خرج فيه التونسيون في جانفي 1984، أو صراعه مع الرئيس المصري "جمال عبد الناصر"، ثم الرئيس الليبي "معمر القذافي" لاحقاً من خلال خطابات القومية العربية وتلك المتعلقة بحل القضية الفلسطينية، ولم يتوقف استعمال الرئيس التونسي للخطاب السياسي على حدود الدول والقضايا العربية، فإتقانه للغة الفرنسية سمح له بإستعمال الخطاب السياسي باللغتين وبالتالي تغلب على عائق اللغة ووجه خطابه حتى إلى دول أجنبية وعلى رأسها فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

أدرج المسلسل التونسي "فلوجة" وهو دارما إجتماعية حديثة تتكون من جزئين عرضت في شهري رمضان 2023 و2024، على قناة الحوار التونسي الخاصة، الخطاب السياسي للرئيس

التونسي الراحل "الحبيب بورقيبة" في عدة مواضيع مختلفة من المسلسل انطلاقاً من الجينيرك مروراً بالعديد من التضمينات وصولاً إلى أحداث الحلقات نفسها، وهو ما أدى بنا إلى الإهتمام بهذه العلاقة ومحاولة فهم الدور الذي لعبه توظيف الخطاب السياسي في المسلسل وذلك انطلاقاً من طرحنا للتساؤل التالي :

كيف وظف الخطاب السياسي للرئيس التونسي الحبيب بورقيبة في مسلسل فلوجة؟

وقد أتبعنا هذه التساؤل الرئيسي بمجموعة من التساؤلات الفرعية التي سنحاول الإجابة عليها من خلال هذه الدراسة :

- ماهي مظاهر حضور الخطاب السياسي للرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" في مسلسل "فلوجة"؟
- ماهي العلاقة التي تجمع بين الخطاب السياسي للرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" وأحداث مسلسل "فلوجة"؟

- ماهي دلالات توظيف الخطاب السياسي للرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" في مسلسل "فلوجة"؟

2. الإطار المفاهيمي للدراسة

1,2 الخطاب السياسي

يعرف ميشال فوكو Michel Foucault الخطاب السياسي بأنه "النصوص والأقوال كما تعطي مجموع كلماتها ونظام بنائها وبنيتها المنطقية أو تنظيمها البنائي"¹، والمقصود في هذا التعريف أن الخطاب ليس أقوالاً فقط وإنما هو نصوص ونظام بنائي متكامل يراعي التراتب المنطقي من حيث السياق والبناء، والسلطة السياسية في أي دولة تسعى لتوظيف الخطاب السياسي لتحديث التأثير في المجتمع بما يتناسب مع أهدافها وايدولوجيتها، والنظام البنائي للخطاب لا يتناسب مع سياقه فقط بل يجعل منه أداة ربط وتأثير في المجتمع لتحقيق الغايات المحددة.

ويراد بالخطاب السياسي "خطاب السلطة الحاكمة في شائع الاستخدام، وهو الخطاب الموجه عن قصد إلى المتلقي بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب، ويتضمن هذا المضمون أفكاراً سياسية، أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسياً²."

وجاء هذا التعريف مركزاً على المرسل والرسالة كعنصرين أساسيين من عناصر العملية الاتصالية، فأما المرسل فهو السلطة الحاكمة بكل من ينتمي فيها (أفراداً ومؤسسات) وأما الرسالة فتتضمن السياسة جزئياً في شكل أفكار سياسية ضمن مواضيع أو قضايا أخرى، أو كلياً بحيث يكون موضوع الخطاب الأساسي سياسياً، وفي كلتا الحالتين فالإتصال قصدي وإقناعي يهدف للتأثير.

والخطاب السياسي الرسمي هو "كل إنتاج ذهني منطوق ومكتوب يصدر عن فرد أو جماعة حقيقية أو اعتبارية كالمؤسسات الرسمية بما يمثل الدولة من خطابات الرئيس ودستور الدولة، على أساس أن المقصود بالرسمي هو صاحب الحكم أو الحاكم والمأذون له التعامل باسم الدولة.³"

أما المقصود بالخطاب السياسي إجرائياً في هذا البحث فهو خطاب الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" حول قضايا وقطاع التربية والتعليم سنة 1968 وحواره مع الصحفي الفرنسي "Jean-Pierre Enkiri" إثر زيارته لباريس سنة 1972، ومحاضراته الأولى بمعهد الصحافة وعلوم الأخبار سنة 1973.

2,2 الدراما التلفزيونية

بالعودة إلى الأصل اللغوي لكلمة دراما فإنها مشتقة من الفعل اليوناني القديم "دراؤ" بمعنى أعمل، فهي تعني إذن أي عمل أو حدث سواء في الحياة أو على خشبة المسرح، وإذا نظرنا لها على أساس أنها عمل أو حركة فهي محاكاة.⁴

أما في الإصطلاح فالدراما هي "قصة تؤدي، أو تعمل وتقدم للجمهور، ويقوم بعرض هذه القصة مجموعة من الممثلين تعونهم بعض الوسائل الفنية من ديكور وإضاءة وصوت أو مؤثرات صوتية، ويمكن أن تقدم هذه القصة على المسرح أو الراديو أو في السينما أو التلفزيون⁵."

وطبيعة فن الدراما هو التواصل مع الآخر من خلال تقديم واقع للحياة والمجتمع ولكن بصورة فنية والدراما يكون فيها الصراع متعدد الجوانب، وتكون الشخصيات متفرعة كل له حياته الخاصة وعالمه وأحداثه، كل هذا من خلال حلقات تمتد في الزمان والمكان⁶

وتعرف الدراما التلفزيونية على أنها مرآة الحياة، وتعد انعكاساً للإهتمامات الخاصة بالبشر، حيث أنها قادرة على ربط خبرات الأفراد بالبناء الأخلاقي والقيمي، وتكون قادرة على توسيع تعاطف المشاهدين، وجذبهم بعيداً عن قيود الواقع، لتقودهم إلى رؤية متعمقة أعظم في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد من التشويق والتعاطف والإثارة.

كما يمكن تعريفها بأنها العمل التلفزيوني المعتمد على قصة تعرض واقعاً اجتماعياً لفرد أو مجموعة من الأفراد، لهم مستوياتهم من الوعي والادراك والتفكير، قد تتفق أو تتعارض مع القيم والضوابط المحيطة، وتعرض وفقاً لمسارات من التعقيد بهدف الوصول إلى نتيجة مقنعة، يمكن أن تتضمن إلى جوار القصة الرئيسية قصصاً فرعية، تهدف إلى تقديم ملامح الواقع المحيط بالجمهور⁷.

2,3 الحبيب بورقيبة

ولد الحبيب بورقيبة في 3 أوت 1903 بالمنستير، وهو نجل أحد ضباط جيش الباي، وكان أصغر إخوته وأخواته الثمانية. تنتمي عائلته إلى الطبقة الوسطى من الساحل التونسي. بعد إرساله إلى تونس في الخامسة من عمره لدى أخيه الأكبر، زاول بورقيبة دراسته الابتدائية والثانوية بالمعهد الصادقي ثم بمدرسة كارنو الثانوية للحصول على البكالوريا ثم سافر بعدها إلى باريس لدراسة القانون بهدف محاربة الحماية الفرنسية.⁸

عاد الحبيب بورقيبة إلى تونس في عام 1927 متحصلاً على شهادة تحوّل له ممارسة مهنة المحاماة. بدأ على الفور في ممارسة العمل السياسي من خلال انضمامه إلى صفوف الحزب الدستوري والكتابة في صحيفة "اللواء التونسي"، قبل أن يؤسس في عام 1932 صحيفة العمل التونسية⁹.

بعد أن تعرض الحبيب بورقيبة إلى السجن والنفي أكثر من مرة خلال مسيرته النضالية، عاد من باريس إلى تونس في غرة جوان 1955 وفي أقل من سنة تم توقيع وثيقة الاستقلال في 20 مارس 1956 فكان أول رئيس حكومة بعد الاستقلال وأول رئيس دولة بعد الإعلان عن الجمهورية في 25 جويلية 1959 وبقي في الحكم إلى 07 نوفمبر 1987 حيث وقعت إزاحته من طرف وزيره الأول زين العابدين بن علي ووضع رهن الإقامة الجبرية في مدينة المنستير وبقي سجيناً بها إلى أن توفي في 06 أفريل 2000.¹⁰

4,2 مسلسل فلوجة

مسلسل فلوجة هو مسلسل تونسي يتشكل من جزئين، عرض في شهري رمضان 2023 ورمضان 2024 على قناة "الحوار التونسي" التونسية الخاصة والمملوكة من طرف سامي الفهري، المسلسل من إخراج سوسن الجمي التي قامت كذلك بتأليف القصة والسيناريو والحوار بمشاركتها شقيقتها سندس عبد الرحمن، يتكون الجزء الأول من المسلسل من 20 حلقة، فيما جاء الجزء الثاني في 21 حلقة، وهو من بطولة مجموعة من الممثلين التونسيين على رأسهم نعيمة الجاني وريم الرياحي في البطولة النسوية، ومحمد علي بن جمعة ونضال السعدي في البطولة الرجالية، ولكن القصة الحقيقية للمسلسل تدور حول مجموعة من الشباب والمراهقين جسد أدوارهم كل من : فارس عبد الدايم، نسيم بورقيبة، محمد مراد، رحمة بن عيسى، رنيم علياني، وسارة الشريف، ويلتحق بهم في الجزء الثاني آية فتوح وبدر بن يوسف.

تدور أحداث المسلسل حول الحياة اليومية لتلاميذ الثانوية وما يواجههم من مشكلات أسرية ودراسية وآفات اجتماعية تهددهم داخل وخارج أسوار المؤسسات التربوية، حيث قامت الحبكة الأساسية على قصة اختفاء التلميذة رحمة التي تعرضت للإغتصاب وتزامن ذلك مع تعامل زملائها نوح وهادي مع مروج للمخدرات يدعى kader جعل منهم مروجين داخل الثانوية، ومعاناة زميلتهم مرام من العديد من العقد النفسية جراء الإهمال العائلي والتشتت الأسري الذي نشأت فيه، فيما تعاني التلميذة النجبية أمل من مشاكل عائلية بين والديها بسبب خيانة والدها وصلت بهم إلى الطلاق مما يؤثر سلباً على مستواها الدراسي وأدائها ويجعلها تلجأ لمرافقة أشخاص مشبوهين يؤثرون عليها ويجرونها للفساد.

حاول المسلسل معالجة مجموعة من القضايا الاجتماعية المتشابكة المتعلقة بحياة التلاميذ والمراهقين عموماً، وقد تعرض في بداية عرضه لموجة واسعة من الإنتقادات في الأوساط الفنية والإعلامية وحتى السياسية التونسية، فقط بلغ الأمر تدخل وزير التربية والتعليم التونسي الذي صرح بأنه سيطلب بتوقيف المسلسل فيما تطوع محاميان أחרان من أجل تقديم قضية تستوجب منع بثه وتعاقب القناة والقائمين على العمل بحجة تشويه صورة المدرسة التونسية وتشجيع التلاميذ والمراهقين على الانحراف.¹¹

في الأخير اتضح أن العمل كان نقداً بناءً أكثر منه هداماً، صور مجموعة من المشاكل الواقعية التي يعاني منها المجتمع التونسي، فقد انتهت أحداثه بما يجب أن يكون عبرة مرسخة لكل الأمثلة التي تعرض لها المسلسل عن مختلف الآفات الاجتماعية، فالجرم الذي ارتكب جريمة الإغتصاب والمتاجرة بالمخدرات تعرض للعقاب، والمراهق الذي تعاطى المواد المخدرة توفي، وزملاؤه الذين شاركوا في الترويج للمواد المخدرة داخل المؤسسة التربوية تم توجيههم إلى الإصلاحات الخاصة بإعادة التربية للقصر، والمشرف الإداري الذي تاجر بأسئلة الإمتحانات طرد ...

3. الإطار المنهجي للدراسة

1,3 نوع الدراسة ومنهجها

تنتمي دراستنا إلى البحوث الكيفية التي تسعى لتحقيق فهم أفضل للموضوعات والظواهر والسلوكيات وذلك من خلال الإستكشاف أو الوصف الدقيق والشرح المتعمق حيث تعمل البحوث الكيفية بموجب افتراض أن الواقع أو الموضوع المراد ببحثه لا تتم تجزئته إلى متغيرات مجردة يمكن قياسها، وإنما يمكن وصفه وشرحه بتفاصيله الدقيقة ضمن سياق عام من خلال الاندماج فيه ومعايشته وجمع معلومات عنه في الظروف أو البيئة الواقعية.¹²

وعلى ذلك فالمنهج الأنسب لهذا النوع من البحوث هو المنهج المسحي الذي "يعرف في اللغة الفرنسية بـ la méthode d'enquête أي منهج التحقيق العلمي الذي يستخدمه الباحث في دراسة موقف معين من خلال بحث الشهود والتجارب والوثائق المكونة لوضعه الطبيعي، لجمع البيانات والمعلومات المحققة للغرض العلمي المنشود"¹³

2,3 أدوات جمع البيانات

يتوجه الباحث عادة في البحث النوعي إلى تحقيق أهداف البحث وجمع بياناته عن طريق أدوات فعالة غير محكمة البناء مثل الملاحظة بالمشاركة، المقابلات المعمقة، الوثائق، السجلات الأولية المرتبطة بالموضوع ... أين يكون دور الباحث الإعلامي فيه دوراً متفاعلاً ولكن يعتمد على الذاتية المنضبطة للإبتعاد عن التحيز في جمع البيانات وتفسيرها.¹⁴

ومن هنا اخترنا أداة تحليل المضمون الكيفي للتعامل مع بيانات هذه الدراسة، إذ يطلق على هذا الأسلوب كذلك "تحليل المحتوى النوعي" وهو أداة رئيسية من أدوات البحث الكيفي، لكونه السبيل الأمثل للتعامل مع المعلومات والبيانات التي يتم جمعها وتحليلها وفق آلية منسقة ومحكمة.¹⁵

ارتبط استخدام تحليل المحتوى النوعي منذ ظهوره بشكل أساسي بتطور وسائل الإعلام وعلم السياسات الدولية، حيث ركز الباحثون الأوائل على تحليل مضمون الصحافة المكتوبة أو الرسائل والخطابات السياسية كما هو حال دراستنا، ويمكن تعريف تحليل المضمون الكيفي بأنه "منهجية بحثية أو إجراء تحليل منهجي ونظامي، وتفسير محتويات النصوص، من كلمات وبارات وبيانات واتصالات ووثائق وغيرها أو صور أو مقاطع فيديو أو أي وقائع أخرى دون تضمين للأرقام أو تحديد كمي في هذا التحليل".¹⁶

3,3 مجتمع البحث وعينته

يستهدف بحثنا دراسة توظيف الخطاب السياسي للرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" في مسلسل فلوجة، وقد تناولنا بالفحص والتحليل كل مظاهر حضور الخطاب السياسي في المسلسل بجزئيه، لنكون بهذا قد طبقنا حصراً شاملاً على مجتمع الدراسة ولم نلجأ إلى أساليب المعاينة.

4. الإطار التطبيقي للدراسة

سنعرض في هذا العنصر بيانات التحليل التي توصلنا إليها بعد الملاحظة والتحليل مرفقة بالتفسيرات الموضحة، وذلك من خلال الإجابة على تساؤلات البحث المطروحة في بدايته :

1,4 مظاهر حضور الخطاب السياسي للرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" في مسلسل "فلوجة"

أولاً: شارة البداية (الجينيريك)

شارة البداية عبارة عن أغنية خاصة بالمسلسل من أداء الراير kaso ورنّا زروق، لحنها وصنع موسيقتها مهدي مولحي، وجاءت كلماتها باللغة العربية وتحديداً باللهجة التونسية العامية، مدة الأغنية (والشارة) ثلاث دقائق وثلاث ثوان، يعرض في أول 18 ثانية منها مقتطفات باللغة الفرنسية من الخطاب السياسي للرئيس التونسي الحبيب بورقيبة على خلفية موسيقى الأغنية نفسها، وذلك قبل أن تبدأ كلمات الشارة .

أرفقت الشارة بفيديو كليب مميز، هو عبارة عن نوع من التصميم الغرافيكي صممه "كارم عبد المقصود" والصور التي تضمنها عبارة عن صور مرسومة بشكل كاريكاتوري لشخصيات المسلسل كلها، بحيث تركز إما على صفة شكلية أو سلوكية في الشخصية، وإما تصور لقطة لحدث مهم في المسلسل بالنسبة لهذه الشخصية، وبعض المشاهد المهمة في المسلسل والتي تصنع فارقاً في الأحداث وهي على التوالي :

- مشهد تحية العلم في الساحة في بداية الأحداث .
- مشهد حادث السيارة مشهد انتشار فضيحة المديرية عبر مواقع التواصل الاجتماعي
- مشهد استجواب البطلة الحامل من طرف الشرطة .
- مشهد التنمر على التلميذة الفقيرة التي تعمل في غسل الصحون بالمطعم .
- مشهد تسريب الإمتحانات من طرف المراقب .
- مشهد اختطاف الأستاذة تحت تهديد المسدس .
- مشهد سقوط المرأة المقعدة من الكرسي المتحرك .
- مشهد تخدير التلميذة من خلال إلقاء الحبوب في مشروبها .
- مشهد رقص البطلة فوق سطح منزلها أين يراها البطل المتدين .
- مشهد التعرف على الجثة المجهولة .
- مشهد اكتشاف المديرية لموت قطها .

هذا وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن المشاهد المذكورة والتي ظهرت في الجينيريك، لم تعرض بهذا الترتيب في أحداث المسلسل، والأمر كان مقصوداً بطبيعة الحال لمنع الحرق وتفادي كشف الأحداث من طرف الجمهور، ومع ذلك فقد ظهرت العديد من النظريات والتفسيرات والتوقعات لمستقبل الأحداث أثناء العرض الأول للمسلسل بناءً واستنتاجاً على المشاهد والصور التي عرضت في الشارة، وقد تم تداولها بشكل واسع على مواقع التواصل الاجتماعي، وتبين في نهاية المسلسل أنها لم تصب كلها في توقع الأحداث والنهاية الحقيقية للمسلسل، أي أن المصمم والمخرج نجحوا في إخفاء

سيرورة الأحداث رغم بلاغة التشبيه والتصوير الكاريكاتوري الذي مثل الشخصيات بشكل أقرب ما يكون لما هي عليه في الواقع.

يقول الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة في مقتطف خطابه الذي أرفق مع بداية الأغنية :

« Moi Je suis optimiste, quand on parle de la Tunisie d'après Bourguiba, je crois que j'ai fait quelque chose de solide qui tiendra après moi . »

تم اقتباس هذه العبارة من حوار أجراه الصحفي الفرنسي Jean- Pierre Enkiri مع "الحبيب بورقيبة" بالعاصمة الفرنسية باريس بتاريخ 27 جوان 1972، على هامش الزيارة الرسمية الأولى للرئيس التونسي إلى فرنسا بعد الإستقلال، والعبارة المستعملة في شارة مسلسل "فلوجة" نفسها مقتبسة من أحد إجاباته، فهي جزء من الإجابة وليست إجابة كاملة.

والترجمة الحرفية للعبارة المستعملة في الشارة باللغة العربية تكون كما يلي :

"أنا متفائل، عندما نتحدث عن تونس ما بعد بورقيبة فأنا أعتقد أنني قدمت شيئاً صلباً سيصمد من بعدي".

ثانياً: الحلقة الأولى

تبدأ أحداث المسلسل -في جزئه الأول- بمشهد صامت طويل نسبياً (62 ثانية) لشخصية من أبطال المسلسل (السيدة ليلي التي تلعب دورها الممثلة نعيمة الجاني) وفي نفس الوقت تؤدي هذه الشخصية أحد أهم الأدوار في القطاع التربوي فهي مديرة المؤسسة، ويعرض المشهد متابعة المديرية لخطاب الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة حول مشاكل قطاع التربية والتعليم عبر شاشة التلفزيون في بيتها.

ينطلق المشهد من تصوير ديكور منزل المديرية، مظهراً مختلف الغرف والأثاث والطابع العام للذوق الكلاسيكي العتيق الغالب على منزل الشخصية وكذا على هندامها، كما يمتد ذلك للتعبير عن إيديولوجية الشخصية وانتمائها الفكرية والعقائدية ما يتجلى من خلال تصرفاتها وأفكارها ومبادئها كما توضحه أحداث باقي الحلقات في المسلسل.

تشاهد الشخصية خطاباً سياسياً للرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" عبر شاشة التلفزيون، وتجدر الإشارة في هذا المقام لأن جهاز التلفزيون الذي تملكه الشخصية في المسلسل جهاز صغير من النوع

القديم، وقد تم استعماله في هذا السياق لسببين : الأول لأنه يتماشى مع الطابع العام لتأثير المنزل والديكور الكلاسيكي الغالب، والثاني والأهم، لأنه يشكل امتداداً للصورة التي كونها المخيال الجمعي للمتفرج التونسي -والعربي- عن خطابات الرئيس بورقيبة المتلفزة كما كان يراها عبر شاشة التلفزيون الصغيرة المربعة، وهذا التماهي بين الصورة (الفيديو في هذه الحالة) والحامل يكون أكثر اقناعاً وتأثيراً في نقل الصورة الحقيقية والمعاني التي تتضمنها كما يود المخرج أن يتلقاها الجمهور، فعدم استعمال جهاز تلفزيون حديث من نوع بلازما على سبيل المثال ليس لأن الشخصية بعيدة عن التكنولوجيا أو لا تتقن استعمالها، فهي تمتلك هاتفاً ذكياً وحسابات نشطة على مواقع التواصل الاجتماعي كما جاء في أحداث المسلسل، إنما لأن الخطاب السياسي للرئيس بورقيبة قد عُرف وتم تداوله بالشكل المربع في الشاشة الصغيرة، وبالتالي فإن إعادة إحيائه أو توظيفه أو استغلال دلالاته ومعانيه لا بد أن تتم في الشكل الأصلي له حتى تحمل نفس الرمزية والقيمة في نظر المتلقي.

ثم ينتقل بنا المسلسل إلى ساحة الأحداث الحقيقية وهي الثانوية، في مشهد طويل آخر (حوالي 120 ثانية) يحمل الكثير من القيم والتضمينات الوطنية، حيث يصور المشهد تحية العلم في ساحة الثانوية صباحاً، أين يصطف التلاميذ والأساتذة جميعاً بشكل منظم أقرب لإصطفاف الجيوش، لاسيما وأن المخرجة لجأت لإعتماد زي موحد لكافة التلاميذ يشبه المآزر ولكنه أقرب للسترات التي تحمل قلنسوات، بلون أخضر عسكري مثل لون زي القتال عند الجنود، ويبين المشهد كل التلاميذ والأساتذة ينشدون مع النشيد الوطني دون استثناء وبكل خشوع وجدية، كما يعلق كل التلاميذ والأساتذة على حد سواء دبائيس على شكل العلم التونسي على صدور ستراتهم ومنازلهم.

ومع أن السائد في عرف تحية العلم أن يخلع التلاميذ أو الموظفون أو المواطنون بصفة عامة قبعاتهم أو قلنسواتهم احتراماً وإجلالاً لتحية العلم، إلا أن القاعدة السائدة في أحداث المسلسل عكس ذلك، حيث يرتدي التلاميذ قلنسواتهم جميعاً عند تحية العلم بشكل موحد ومنظم، فيما يخلعونها ببقية اليوم أثناء الحصص أو الدراسة أو التجول في أروقة الثانوية، وقد أكدت المؤلفة والمخرجة في تصريح لها أنها تعمدت ذلك المظهر لتوحي بالنظام والانضباط الشبيه بنظام واصطفاف الجيوش.¹⁷

ثالثاً: المعهد

تدور أحداث المسلسل في ثانوية تحمل تسمية "معهد بورقيبة" كما رأينا في اللافتة المعلقة عند مدخل الثانوية، ولكن يطلق على المؤسسة اسم بديل غير رسمي شائع في أوساط التلاميذ والأحياء وهو "الفلوجة"، ولكن التسمية الرسمية المعتمدة هي "معهد بورقيبة" وهذا طبعاً تم اختياره لنفس أسباب إدراج الخطاب السياسي للرئيس الراحل "الحبيب بورقيبة" في أحداث المسلسل وفي جينريك البداية، خصوصاً وأن اللافتة التي تحمل اسم المعهد رسم عليها العلم التونسي بجانب التسمية كتتمين للرمز الوطني التونسي.

رابعاً : الحلقة الأخيرة

انطلقت المخرجة بأحداث المسلسل من خطاب الرئيس التونسي في أول حلقة من الجزء الأول وبنفس الطريقة ختمت أحداث المسلسل في جزئه الثاني بإقتباس آخر من خطابات "الحبيب بورقيبة" السياسية، يتناول موضوع التعليم كذلك، ولكن في سياق مختلف حيث كان المقطع المعروض هذه المرة من المحاضرة الأولى التي ألقاها الرئيس بمعهد الصحافة وعلوم الأخبار يوم 14 أكتوبر 1973 كدرس إفتتاحي للسنة الجامعية 1973-1974، وجاء في الخطاب :

" عاد كان مسكين الله يرحمو يقلبي أقرأ يا حبيب بش ماتهز بش البردعة، نقلو شنوة البردعة؟ يقلبي اك البردعة لي على البهيم، يحطوها على البهيم، فهمت الحاصل معناها، يقلبي بوك هزها سنين على كرايمو، يمشيو بيها، نقلو هاني نقرا نعمل مجهودي بش ماتهز بش البردعة".

يتحدث الرئيس التونسي في هذا الخطاب عن طفولته وتعليمه، ويروي حواراً دار بينه وبين والده، ويمكن إعادة ما جاء في الجزء المعروض من الخطاب باللغة العربية الفصحى كما يلي :

"كان المسكين رحمة الله عليه -يقصد والده- يقول لي : أدرس يا حبيب لكي لا تحمل البردعة

أقول له : ما هي البردعة؟

يقول لي : البردعة التي توضع على ظهر الحمار

فهمت معناها

يضيف والده : والدك حملها على أكتافه لسنوات

يسيرون بها

أقول له : أنا أدرس وسأبذل مجهودي لكي لا أحمل البردة".

2,4 العلاقة بين الخطاب السياسي للرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" وأحداث مسلسل "فلوجة"

من أجل دراسة العلاقة التي تربط بين الخطاب السياسي للرئيس التونسي الموظف في مسلسل فلوجة، وأحداث المسلسل نفسها لا بد من الإنطلاق أولاً من السياق الذي جاء فيه كل من المضمونين، وذلك من خلال تسليط الضوء على السياق الذي بنيت فيه حبكة أحداث المسلسل، إلى جانب السياق الذي أُلقيت فيه الخطابات السياسية للرئيس بورقيبة، مع مراعاة الخصوصية التي يتميز بها كل خطاب، حيث أن المقتطفات التي تم توظيفها في المسلسل لم تكن مجتزئة من نفس الخطاب.

تدور أحداث المسلسل في تونس في الزمن الحالي، ومع أن أحداث المسلسل في الجزء الأول لم تشر إلى التواريخ بشكل واضح وصريح، إلا أنه يمكننا الاستدلال على ذلك من خلال الموضحة المتبعة في أزياء وتحميل الممثلين، في تصرفاتهم وهواياتهم وعلاقتهم بمواقع التواصل الاجتماعي وما يتصل بها من تحديات ومحتويات، وكذا في الأغاني والأفلام والأحداث المتصلة بالعامين الأخيرين على أقصى تقدير، ولكن المسلسل استدرك ذلك في الجزء الثاني وأشار بشكل واضح وصريح لأن الأحداث تجري في الزمن المعاصر مباشرة وذلك من خلال التعبير عن التضامن مع حرب طوفان الأقصى التي انطلقت في السابع من أكتوبر 2023، ومازلت مستمرة إلى غاية عرض المسلسل في شهر رمضان، وحتى إلى تاريخ إرسال هذا العمل.

ويتناول المسلسل في نفس الوقت عدة قضايا وإشكاليات متعلقة بقطاع التربية والتعليم في تونس في مجال زمني أوسع قليلاً، مقارنة بما كان عليه الوضع خلال فترة حكم الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، حيث تناول المسلسل مجموعة من الظواهر المستفحلة في جل المؤسسات التربوية باختلاف مستوياتها، كتوجه الأساتذة للدروس الخصوصية على حساب التعليم النظامي، وبيع مواضيع الإمتحانات، وتحرش الفريق التربوي بالتلاميذ، واستغلال الإضرابات التعليمية من أجل التنزه والراحة والأشغال الشخصية عوض الإعتصام داخل المؤسسات والمطالبة بالحقوق وغيرها...

وقد تم توظيف مجموعة من المقتطفات من خطابات الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" التي تتناول موضوع التعليم والمدرسة وإشكاليات القطاع والتي تخدم حبكة المسلسل والقضية التي يسعى لمعالجتها من خلال أحداثه عبر الجزئين، ويمكن عرض السياق الذي أُلقيت فيه خطابات الرئيس التونسي كما يلي :

فيما يخص المقتطف الأول الذي استعمل في جينيريك المسلسل، والمقتبس من حوار الرئيس التونسي ببافيس، فإن المقطع الموظف كان جزءاً من رد "الحبيب بورقيبة" على سؤال الصحفي الفرنسي التالي :

- Lorsque vous considérez le long chemin parcouru par la Tunisie et que vous faites le point de sa situation actuelle, quels sont les problèmes prioritaires qui vous apparaissent ?

والذي يمكن ترجمته إلى اللغة العربية كما يلي : عندما تنظرون إلى الطريق الطويل الذي قطعته تونس وتقيمون وضعها الحالي، ما هي المشاكل ذات الأولوية التي تظهر لكم؟

وقبل أن نتطرق للإجابة الكاملة على هذا السؤال كما جاءت في رد الرئيس التونسي، ينبغي الإشارة لسياق الحوار الذي طرح فيه من خلال التعرض للأسئلة والمواضيع السابقة حيث سئل الصحفي الرئيس في البداية عن المبادئ الأساسية التي وجهت عمله؟

- Quels sont les grands principes qui ont guidé votre action ?

ثم عن كيفية تصوره لهذه الرحلة الرسمية إلى فرنسا؟

- Comment concevez-vous votre voyage officiel en France ?

ثم جاء السؤال الذي اقتبست إجابته عن المشاكل ذات الأولوية التي تعاني منها تونس، والذي أجاب عنه الرئيس التونسي كالتالي:

« Dès la fin de la lutte, nous avons commencé ce que nous avons appelé La grande lutte, estimant que la lutte pour l'indépendance c'est une petite lutte, la grande lutte c'est la lutte pour le développement, c'est la lutte pour élever le niveau du peuple, pour sortir du sous-développement. Pour rattraper les pays civilisés qui ont leur industrie qui ont leur agriculture leur science. C'est pour cela que nous avons donné un grand crédit pour l'instruction.

La France nous a aidés dans une très grande mesure en ce qui concerne les professeurs, les instituteurs. Nous avons maintenant des cadres valables, au début nous n'avions même pas de cadre pour tenir l'administration.

Moi Je suis optimiste, quand on parle de la Tunisie d'après Bourguiba, je crois que j'ai fait quelque chose de solide qui tiendra après moi . »

وبترجمة الإجابة إلى اللغة العربية نتوصل إلى ما يلي :

"و بمجرد انتهاء الكفاح، بدأنا ما أطلقنا عليه اسم "الكفاح العظيم"، مؤمنين بأن الكفاح من أجل الاستقلال هو نضال صغير، أما الكفاح الكبير فهو النضال من أجل التنمية، إنه النضال من أجل رفع مستوى الشعب، للهروب من التخلف، وللحاق بالدول المتحضرة التي تمتلك صناعة وزراعة وعلماً خاصة بها، وهذا هو السبب في أننا أعطينا الفضل الكبير للتعليم.

لقد ساعدتنا فرنسا إلى حد كبير جداً فيما يتعلق بالمعلمين والمدرسين، لدينا الآن إطارات مؤهلة، في حين لم نكن نملك في البداية حتى إطارات لتولي الإدارة.

أنا متفائل، عندما نتحدث عن تونس ما بعد بورقيبة فأنا أعتقد أنني قدمت شيئاً صلباً سيصمد من بعدي."

والمقصود في خطاب الرئيس التونسي هنا بالكفاح أو النضال الصغير فهو الثورة التونسية ومقاومة الاحتلال الفرنسي من أجل تحقيق الإستقلال، فيما يعتبر الرئيس بورقيبة الكفاح أو النضال الحقيقي الكبير هو النضال من أجل التنمية والتعليم ومحاربة التخلف ... والذي ساهمت فرنسا في تحقيقه، وهو ما أدى إلى تكوين موروث صلب وقوي سيصمد حتى بعد انتهاء حكم الرئيس التونسي، والأرجح أن المقصود هنا كان انتهاء فترة الحكم لأن لم يكن قد أجري التعديل الدستوري الذي جعل بورقيبة رئيساً لتونس مدى الحياة بعد.

وفيما يخص المقتطف الثاني الذي استعمل في الحلقة الأولى من المسلسل والمقتبس من خطاب الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" فقد تم اجتزائه من خطاب يوم 29 جوان 1968 والذي ألقى بالقاعة الكبرى بقصر الجمهورية بقرطاج "بمناسبة حفل إختتام السنة الدراسية والجامعية، وتوتيجاً

للمواكب الشعبية التي انتظمت في كافة أنحاء الجمهورية بإشراف مسؤولين في الحزب والحكومة تكريماً للعلم وأهله في اختتام هذه السنة الدراسية في يوم العلم.¹⁸

وبالتحديد فقد تم توظيف مقطع يمتد من الدقيقة 42 و 47 ثانية إلى الدقيقة 44 و 02 ثانية، من مجمل الخطاب الذي دام 53 دقيقة.

كما قد تمت إعادة تركيب الخطاب السياسي للرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" في مونتاج المسلسل لتقدم المعنى المطلوب المناسب لسياق أحداث المسلسل، ومع أن الخطاب الأصلي للرئيس التونسي كان فعلاً يتناول مواضع التربية والتعليم وإشكاليات القطاع، إلا أن الترتيب وتسلسل الأفكار والجمل يؤثر في المعنى ويختلف هذا الأخير باختلاف الترتيب، فقد جاء نص مقتطفات الخطاب السياسي المركبة في الحلقة الأولى من المسلسل كما يلي :

"فعلى المربين في هذا الصدد أن ينشئوا الشباب تنشئة سليمة متوازنة حتى يقتزن عنده الحماس بالوعي، إن فهمهم للتربية واساليبها ربما أصبح غير ملائم لما يتطلبه العصر، وذلك ما يملي عليهم في نظري واجبين أكيدين؛ عليهم أولاً أن يقوموا بدورهم المحتوم في تربية الروح الثورية المركزة في طبيعة الشباب تربية أصلية تحفظ تلك الطاقة الطبيعية الخصبة من الإهمال والضياع، ولا تتركها تصرف في غير وجهها الصالح لأنها إذا لم تصرف إلى الخير انصرفت إلى الشر وإذا لم يتحكم فيها العقل ولم تحذوها المبادئ الأخلاقية والقيم الروحية لعبت بها الأهواء واحتكرتها النفس الأمارة بالسوء".

فيما كان قد ألقاها الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" في الخطاب الأصلي كالتالي :

... ولعل في ذلك للمربين درساً من أقصى الدروس لأنه إن دل على شيء فعلى "أن فهمهم للتربية واساليبها ربما أصبح غير ملائم لما يتطلبه العصر، وذلك ما يملي عليهم في نظري واجبين أكيدين؛ عليهم أولاً أن يقوموا بدورهم المحتوم في تربية الروح الثورية المركزة في طبيعة الشباب تربية أصلية تحفظ تلك الطاقة الطبيعية الخصبة من الإهمال والضياع ولا تتركها تصرف في غير وجهها الصالح لأنها إذا لم تصرف إلى الخير انصرفت إلى الشر وإذا لم يتحكم فيها العقل ولم تحذوها المبادئ الأخلاقية والقيم الروحية لعبت بها الأهواء واحتكرتها النفس الأمارة بالسوء، فعلى المربين في هذا الصدد أن ينشئوا الشباب تنشئة سليمة متوازنة حتى يقتزن عنده الحماس بالوعي" والإنذاف بالتبصر والتجديد

بالإستمرار والإستقرار فيبقى الشباب هكذا عن حق محط آمال الأمة عوض أن ينقلب مبعث حيرة وحذر أو سبب تعطيل للمسيرة. ثم إن من واجب المربين ثانياً

أما فيما يخص المقتطف الثالث الذي وظف في الحلقة الأخيرة من المسلسل فهو مقتبس من محاضرة الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" الأولى بمعهد الصحافة وعلوم الإعلام بتاريخ 14 أكتوبر 1973، ويبدأ بعد ساعة و17 دقيقة و03 ثواني من انطلاقة الخطاب الذي مدته ساعة و45 دقيقة، وينتهي عند ساعة و17 دقيقة و37 ثانية.

وهو المقتطف الوحيد الذي لم تلحق به أية تعديلات ولا حذف، حيث عرض المقطع القصير كما هو حرفياً في آخر لقطة من الحلقة الأخيرة من الجزء الثاني من المسلسل، ويختم المشهد في الخطاب -وفي الحلقة على حد سواء- بلقطة مؤثرة للرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" وهو يبكي، أين يمسح دموعه من عينيه بكلتا يديه، إذ تأثر بسبب تذكره لماضيه وروايته للحادثة التي وقعت مع والده حول طلب العلم والتي وظفت في المسلسل.

كانت هذه المحاضرة الدرس الأول من مجموعة دروس منتظمة عن تاريخ تونس، بادر بتقديمها الرئيس التونسي بحيث كما جاء في تقديم الخطاب : " تكون في حد ذاتها طريقة جريئة إذ أنها تجمع في شخصكم السياسي الأستاذ والأستاذ السياسي الذي يريد أن يزود العلم ودقته بمهارته السياسية بما فيها من كر وفر وما تحتويه من تجارب ومحن"¹⁹، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى حرص واهتمام الرئيس التونسي بقطاع العلم والمعرفة، حتى أنه قرر رغم منصبه وانشغالاته ومسؤولياته تقديم دروس مباشرة للطلبة في الجامعة بحيث تكون هذه الدروس مسجلة في شكل خطابات سياسية تبث على الجمهور التونسي كافة ليستفيد من محتواها التاريخي والسياسي، هذا وقد أشار المقدم في ذات الخطاب إلى دور "الحبيب بورقيبة" في إنشاء وتأسيس المؤسسات التعليمية والبحثية حيث قال في كلمة الترحيب "...وأرحب بكم في رحاب الجامعة التونسية الفتية، التي تعتبر من أهم الإنجازات التي حققتها بقيادتكم الواعية الأمة التونسية في جهادها الطويل"²⁰ من أجل حق جميع التونسيين في بعث جامعة قومية مستقلة تقرب منهم المعرفة والعلم"²¹، وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن الجامعة التونسية قد تأسست سنة 1960 أي بعد سنة واحدة من استلام الرئيس "بورقيبة" الحكم في تونس بشكل رسمي،

ذلك أنه قد أولى منذ البداية عناية فائقة بإشكالية العلم والتعليم واتخذته كأول التحديات التي يقوم عليها بناء الدولة التونسية الحديثة،²² وهو ما أشرنا له أنفاً في استعراض سياق المقتطف الأول الذي كان من حوار الرئيس التونسي مع الصحفي الفرنسي سنة 1972.

لقد حرص الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" على توثيق التاريخ الذي عاشه وصنعه ونقله إلى الأجيال الصاعدة وهذا ما دفعه بالأساس لهذه المبادرة وقد جاء في تقديم أول محاضرة ما يؤكد ذلك إذ قال المقدم : "... ولكم في تجربتكم ما يزود النفوس في رحاب هاته الجامعة فيكون زاداً يعول عليه الباحثون عن المعرفة وعن الحقيقة التاريخية، وفي هذا المجال فإنكم تكونون حسب الباحثين سنداً تاريخياً مثالاً *une source de première main* تستقى منها الأحداث والروايات حية، حتى تكون شاهداً حياً يعتمد عليه الجميع"، وذلك يمكن أن يفسر العلاقة الوطيدة التي بناها الرئيس التونسي مع شعبه على مر سنوات حكمه، والتي أوصلته إلى تغيير القانون بجعل نفسه رئيساً مدى الحياة بموافقة الشعب التونسي ودعمه، ولم يكن هذا النجاح السياسي في تحقيق القبول الجماهيري نتيجة سياسية لحسن تسييره ولا نتيجة إقتصادية لدوران عجلة التنمية ولا نتيجة إجتماعية لتحسن الظروف المعيشية للمواطن التونسي فحسب، بل كان نتيجة لكل ذلك ولأسباب أخرى عديدة لعل من أهمها -من منظور تخصصنا- حسن استغلاله لوسائل الإتصال الجماهيري التي كانت منتشرة في ذلك العصر، وعلى رأسها توظيف الإعلام بجهازي الإذاعة والتلفزيون لتحقيق الأهداف السياسية والتنموية للرئيس، ويمكن أن نعتبر هذا المبادرة الحقيقية الأولى والفريدة من نوعها في المقارنة مع بقية الدول العربية أو الإفريقية من دول العالم الثالث التي تأسست نتيجة الحركات التحررية في نفس تلك الفترة.

3,4 دلالات توظيف الخطاب السياسي للرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" في مسلسل "فلوجة"

تقوم الدراما بشكل أساسي على تقديم قصة للجمهور، ويكفي أن تفهم الحبكة من طرف المشاهدين ليتحقق بذلك الهدف منها، ولكنها وفي سبيل تحقيق ذلك تعتمد على مجموعة من العناصر الفنية المرافقة التي تزيد من إبراز المعنى وتقوي الأثر في نفس الجمهور، كالموسيقى والإضاءة والمؤثرات وغيرها ... ولكل عنصر من العناصر المدرجة في العمل الدرامي سبب وراء إدراجه وهدف مرجو من توظيفه، والنقطة التي تجمع بين السبب والهدف في هذه الحالة هي الدلالة التي يحملها ذلك العنصر بمواصفات معينة وبالتالي الدلالات المترتبة عنها التي سيتلقاها الجمهور المشاهد.

وعلى الرغم من أن توظيف الخطاب السياسي في الدراما التلفزيونية ليس مزيجاً متداولاً وقلما يحدث، ولكنه يحمل في طياته الكثير من الدلالات التعيينية والتضمينية التي لم يكن بالإمكان إبلاغها للجمهور المتلقي دون هذا التوظيف.

وسنستعرض دلالات توظيف الخطاب السياسي للرئيس "الحبيب بورقيبة" في مسلسل "فلوجة" حسب مستويين إثنيين، إنطلاقاً من الخاص إلى العام، حيث يمثل المستوى الأول دلالات توظيف خطاب بورقيبة السياسي في مسلسل فلوجة، فيما يتناول المستوى الثاني دلالات توظيف الخطاب السياسي في الدراما التلفزيونية بشكل عام.

المستوى الأول :

تبنى الحبكة في الأعمال الدرامية غالباً على ثنائيتين متناقضتين أو متضادتين يتشكل بينهما الصراع، كثنائية الخير والشر، القوة والضعف، الحب والكراهة، التضحية والأنانية، الحياة والموت، الصحة والمرض ...

ومع أن البارز في بطولة مسلسل "فلوجة" هي الوجوه الشبانية التي تتعلق بها أغلب الأحداث، إلا أننا وبقليل من التمعن نجد في خلفية الأحداث صراعاً لانهائياً بين نوعين من العاملين في قطاع التربية والتعليم؛ سواء كانوا أساتذة مثل شخصية الأستاذة نور في المسلسل، أو مسؤولين مثل شخصية المدير ليلي، أو أعوان إدارة مثل شخصية القيم العام لسعد²³، وبالتالي يتولد عن ذلك الصراع شعور بالتضامن أو الانتصار للحق والخير عند المشاهد، عن أو من دون إدراك واع ومباشر، لأن القضية دائماً ما تكون متعلقة بأحد الشباب في حين خلف نصرتها أو إنقاذها أحد الشخصيات الأكبر سناً والتي لا تتمركز حولها بطولة العمل أو نجوميته بالضرورة، ولكنها تمثل مخزوناً قيمياً كبيراً من الرسائل الإيجابية التي يسعى صاحب العمل لإيصالها.

وبالعودة إلى خطاب الرئيس التونسي الموظف في المسلسل وتحديدًا المقتطف الثاني الذي عرض في الحلقة الأولى وكان ديباجة لكافة أحداث المسلسل، يقول الرئيس "فعلى المربين في هذا الصدد أن ينشئوا الشباب تنشئة سليمة متوازنة حتى يفترون عنده الحماس بالوعي، إن فهمهم للتربية واساليبها ربما

أصبح غير ملائم لما يتطلبه العصر، وذلك ما يملّي عليهم في نظري واجبين أكيدين...²⁴، وكنا قد أشرنا أنفاً أن المخرجة قد أعادت تركيب المقطع في المونتاج، وسبب ذلك في هذا السياق هو تقديم الواجب الثاني الذي تحدث عنه الرئيس، لأن مقطع الخطاب طويل ككل الخطابات السياسية في تلك الفترة والتي كانت تتميز بالإطناب والإسهاب والتكرار، وسيكون طويلاً جداً بحيث لا يحتمله المشاهد المدرج فيه، ولأن الفكرة التي تحدث عنها الرئيس التونسي تنطبق بشكل ملائم مع سياق أحداث المسلسل ورسائله، فقد أعادت تركيب المقطع بحيث تدرج في اللقطة الواجبين الذين نص عليها "الحبيب بورقيبة" وهما نفس الواجبين الذين تسعى شخصيات المسلسل الخيرة لتحقيقهما في الواقع، للنهوض بقطاع التربية والتعليم ومواجهة الإشكاليات التي يعاني منها في العصر الحالي، كما تجدر الإشارة هنا لأن قضية صراع الأجيال كما ذكرت في الخطاب السياسي كانت حاضرة كذلك في أحداث المسلسل، والدلالة هنا ثنائية الاتجاه؛ فهي تدل من جهة على ما يجب القيام به لتحسين واقع القطاع اليوم وما يعانيه بسبب هذا التفاوت لاسيما في ظل العولمة والغزو التكنولوجي، وتدل من جهة أخرى على حكمة وفطنة الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" الذي انتبه لهذه الإشكاليات منذ عقود وتناولها في عصر قديم وسعى لمواجهتها.

تحمل الوزارة التونسية تسمية "وزارة التربية" بما يقابل Ministère de l'éducation باللغة الفرنسية، فالتربية هنا بمعنى يشمل التربية والتعليم والتكوين، وهو المصطلح الذي استعمله "الحبيب بورقيبة" في خطابه لقوله "المربين"، وهو نفس المفهوم والمصطلح الذي تم تداوله في المسلسل لتحسيس بحجم ومدى مسؤولية العاملين في قطاع التربية، وهو ما رأينا من خلال أحداث المسلسل فيما يتعلق بالشخصيات الخيرة التي تضحي من أجل التلميذ ومستقبل التعليم في البلاد، وإن كان المصطلح الذي استعمل في الخطاب السياسي لبورقيبة منذ 55 سنة مضت يضفي شيئاً من الشمول والرفعة على مهنة المعلم أو الأستاذ عندما يطلق عليه "المربي"، فإنه لم يعد متداولاً في هذا العصر إصطلاحاً ولا مفهوماً ولا سلوكاً، مع أن الأصح والأقوم أن الأستاذ في الأطوار التعليمية الثلاث مربي قبل أن يكون معلماً، والتربية هنا تشمل من ناحية التطبيق السلوك والقيم والتنشئة... كما تشمل من ناحية المطبقين كل أعضاء الأسرة التربوية -وليس الأساتذة فقط- بما فيهم المدير والأعوان والإداريون، وهو كذلك ما صورته المخرجة في حلقات المسلسل على مدى جزئين كحادثة تسريب وبيع الاختبارات واللهث

وراء الدروس الخصوصية وعدم الإكتراث بنتائج التلاميذ وتحصيلهم مقابل المدخول المادي أو الترقية الإدارية .

من الدلالات التي حملتها مقاطع الخطاب السياسي الموظف في المسلسل والتي كان لها حضور في الأحداث كذلك، التركيز على دور مؤسسة المدرسة في التنشئة الاجتماعية كأهم مؤسسة إلى جانب مؤسسة الأسرة، فالمشاكل التي عانى منها التلاميذ أبطال المسلسل تبدو أنها مشاكل مراهقين وتكون في أحيان كثيرة من خارج المؤسسة التربوية (الثانوية في هذه الحالة) إما مشاكل عائلية، أو شخصية، أو قانونية ... يتسبب فيها أفراد العائلة، الأصدقاء، الجيران ... إلا أنها دائماً ما تتفاقم أو تتلاشى في المؤسسة التربوية، وهذا ما يجعل منها كمؤسسة ومن العاملين فيها كأفراد حلقة أساسية في إنقاذ الجيل الصاعد من الضياع والانحراف، وهو ما نادى به الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" في خطابه المقتبس سنة 1968 وتناولته المخرجة في هذا المسلسل سنة 2023-2024.

حمل الجزء الثاني من مسلسل فلوجة دلالات وتضمينات سياسية أكثر مقارنة بالجزء الأول، حيث ذكرت مخرجة العمل (وهي نفسها المؤلفة) بحادثة انقلاب الحافلة في منطقة عمدون²⁵ التابعة لولاية باجة يوم 1 ديسمبر 2019 والتي راح ضحيتها أكثر من ثلاثون شاباً وشابة كانوا على متن رحلة سياحية، وربطت الأمر بشكل مباشر بتلاميذ المناطق النائية والجبلية ذات الطبيعة الوعرة وما يعانونه من عراقيل في سبيل الالتحاق بالمؤسسات التعليمية ومواصلة تعليمهم في المراحل الأولى، وامتد التضمين السياسي في المسلسل إلى تصوير مشهد حضور وزير التربية إلى المؤسسة التي راح تلاميذها وأساتذتها ضحية الحادث، ليقدم تعازيه بشكل سطحي ومبتذل ثم يغادر رفقة المرافقين والحراس الشخصيين بسرعة في سيارته الفارهة ليعود إلى رفاهية العاصمة تاركاً المؤسسات التعليمية في مناطق ظل تعاني أساتذة وتلاميذاً وأولياء، والمقصود بذلك أن الحل للنهوض بمستقبل التربية والتعليم في تونس بحاجة إلى شخصيات واعية ومضحية (كمثال شخصية الأستاذة نور التي قبلت التدريس في المناطق النائية لإبلاغ رسالتها التربوية) ولكنه بحاجة كذلك إلى قرارات سياسية عليا تحسن من ظروف العمل وتقلص الفوارق في الموارد بين مؤسسات المدينة والريف، لأن العاملين في القطاع لوحدهم لن يستطيعوا مواجهة كل العراقيل المادية والمعنوية والجغرافية والصحية بمجهودهم الخاص.

مع أن الجزء الثاني من مسلسل فلوجة قد قدم معاني وتضمينات سياسية أكثر، إلا أنه وظف الخطاب السياسي للرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" بشكل أقل مقارنة بالجزء الأول، حيث لم يرصد الخطاب طوال حلقات المسلسل إلى غاية المشهد الختامي، ويمكن اعتبار هذا ضرورة درامية أكثر من أي شيء آخر، فإنتاج الجزء الثاني من العمل لم يكن مخططاً ولا مؤكداً حين تمت صناعة وبث الجزء الأول²⁶، ولكن المخرجة نجحت في ختم العمل بمشهد مؤثر ومعبر²⁷ من خطابات الرئيس "الحبيب بورقيبة" ينقل فيه رسالة خالدة وصالحة لكل مكان وزمان حول ضرورة التعليم وكيف أنه السبيل الأوحـد لتحسين الظروف المعيشية وضمان حياة أفضل، وهو ما قيل له فيه "أقرأ يا الحبيب باش ماتـهـز البردعة"، وكيف أن سعيه الدراسي هو الذي أوصله لما هو عليه برئاسة الجمهورية التونسية. كما حملت نهاية الأحداث دلالات قيمة عن خاتمة الشخصيات الخيرة والشريرة في المسلسل إذا انطلقنا من تصنيفها وفق ثنائية الصراع بين الخير والشر وهو التصنيف الأشمل. فمع أن جل المجرمين في المسلسل قد تمت معاقبتهم على اختلاف مستوى إجرامهم والعقوبة التي ترتبت عنه، إلا أنه في المقابل لم تحضى كل الشخصيات الطيبة بنهاية سعيدة تليق بمسارها في أحداث المسلسل، فتعمد قتل شخصية خيرة يكون له من الأثر والإقناع والترسيخ في نفس المتلقي مايفوق منحها نهاية سعيدة، وهذه ثنائية أخرى من الثنائيات التي تبنى عليها خاتمة الأعمال الدرامية، فبين نهاية سعيدة لمجموعة من الشخصيات تمنح المشاهد احساساً بالإيجابية والإستحقاق وانتصار الحق وقوة الخير، لا بد من إرفاق ذلك بنهايات حزينة لبعض الشخصيات الأخرى، لكي تكون أكثر تأثيراً على عقل وعاطفة المشاهد وبالتالي ترسخ لديه الرسالة أو القيمة المقصودة بشكل أقوى، ومثال ذلك في المسلسل وفاة الأستاذة نور التي كانت نموذج الأستاذة المثالية.

المستوى الثاني :

يندرج الإنتاج الدرامي بأنواعه مسلسلات، أفلام، مسرحيات ... ضمن الصناعة الثقافية التي تقوم على أساسين : الأساس الاول إقتصادي ربحي -فهـي صناعة رغم كل شيء- والأساس الثاني

فني، لأنها تشمل كل أنواع الفنون بدون إستثناء وتسعى للإبتكار والإبداع دائماً بما يخدم السوق الثقافية عموماً بأسواقها الجزئية؛ السينمائية، التلفزيونية، الغنائية، المسرحية...

ومن هذا المنطلق الفني فإنه لا قواعد ضابطة تلزم الإنتاج الدرامي من ناحية مايمكن إدراجه أو إضافته أو إعتماده في بناء الحبكة أو تحقيق التأثير عند المتلقي، ومع هذا تبقى للخطاب السياسي خصوصية تميزه عن أي مادة إعلامية أو تاريخية أخرى يمكن توظيفها في الأفلام والمسلسلات، لهذا لا بد من الأخذ بعين الإعتبار مجموعة من الشروط المتعلقة بالشخصية، وبالخطاب وحتى بالظروف السياسية للدولة في تلك الفترة والفترة الحالية، والتي يستحسن أن تتوفر في سياق توظيف الخطاب السياسي حتى يكون معبراً وموثراً كما كان الحال في توظيف الخطاب السياسي للرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" في مسلسل "فلوجة".

في البداية يجب أن نوضح أن الخطاب السياسي ليس مضموناً منفصلاً أو صالحاً لكل السياقات والأزمنة، فهو مادة إعلامية سياسية وتاريخية -إذا كان فيها عامل الزمن- ولكنه قبل ذلك رمز لشخصية حاكمة ومرحلة من تاريخ الشعب ومن سياسته وحكمه، والقدرة على توظيفه في سياقات درامية أو فنية لاحقاً مرتبطاً أساساً بهذا الأمر، ويمكن أن نفصل في الأمر من خلال استعراض العناصر التالية :

- **طبيعة الشخصية السياسية وطريقة وصولها للحكم:** وهذا مرتبط أولاً بمنصب الشخصية التي ألقت الخطاب فرئيس الدولة يختلف عن رئيس الوزراء وعن قائد أركان الجيش، وهو موثر مباشر في علاقة الشعب بالشخصية والأثر الذي تركته فيها إذا كانت علاقة محبة وإحترام وتقدير أو علاقة كره فرضت بالقوة والإستبداد، ويمكن أن يؤثر مؤشر كيفية الوصول للحكم في بعض الحالات كذلك لاسيما إذا ما تعلق الأمر بالدول الديمقراطية، فالشخصية السياسية وإن اتصفت بالنزاهة في فترة الحكم إلا أن طريقة وصولها للمنصب بالانتخابات الشفافة، أو المزورة، أو عن طريق إنقلاب سياسي تبقى راسخة في الذاكرة الجماعية للشعب عبر الأجيال وتؤثر بشكل عام في صورة السياسي لديهم.

- **طبيعة المرحلة التاريخية :** يمكن أن تتزامن فترة حكم الشخصية وبالتالي فترة خطاباتها السياسية مع أحداث تاريخية مفصلية تغير موازين القوى ونظرة الشعوب إليها، إما أحداث سلبية كالحروب أو الفقر أو الأوبئة أو القمع أو الإستبداد ... أو أحداث أو قرارات إيجابية كالإنتصار أو المصالحة أو تحسين الظروف المعيشية أو إرتفاع قيمة العملة أو إنشاء مؤسسات ومرافق ضخمة... فإن الخطاب السياسي الذي تتركه الشخصية يمكن اعتماده للإقتداء أو التكريم أو العكس حسب ماتفرضه المرحلة.
- **طبيعة نهاية فترة الحكم :** فالخاتمة دائماً تخلف أثراً قوياً على النفس البشرية، ويختلف الأمر بين من قتل وهو في الحكم، وبين من استقال، وبين من تقاعد، وبين من انتهت عهده واحترم القانون الديمقراطي، وبين من ثار عليه شعبه وأزيع بحراك أو إنقلاب سياسي وغيرها....ويؤثر ذلك بشكل مباشر في التعامل مع الإرث المادي والمعنوي للشخصية.
- **حجم الخطابات السياسية وعددها :** وهذا عامل موضوعي مرتبط بالزخم التاريخي الذي تخلفه الخطابات العديدة والطويلة لدى الشعوب، وكمثال عن الشخصيات العربية التي خلدتها خطاباتها نذكر : الحبيب بورقيبة في تونس،²⁸ جمال عبد الناصري في مصر، هوارى بومدين في الجزائر ... والكمية هنا حجماً وعدداً توفر أولاً مادة لمن يود الإعتماد عليها أو توظيفها، وتوفر كذلك مخيلاً جمعياً واسعياً من الأفكار والقيم والتاريخ الذي يمكنك استغلاله عند توظيفها لإيصال رسائل معينة متعلقة بالحاضر أو بالمستقبل، فعلى سبيل المثال الرئيس التونسي بورقيبة في هذه الدراسة كان قد خلق علاقة وطيدة بشعبه من خلال عشرات الخطابات التي ألقاها على مر السنوات والتي كانت تشكل وسيلة تواصل دائم بينه وبين المواطنين.
- **مواضيع الخطابات السياسية ونوعها :** يتأثر توظيف الخطاب السياسي بالمواضيع التي تناولها إذا اكتفى بالمواضيع السياسية الرسمية أم تعداها لقطاعات أقرب لحياة المواطنين كالصحة والتعليم والمجتمع ... وإذا ما استعملت فيها لغة فحصى أكاديمية أو لغة سياسية خشبية أو تم اعتماد الدارجة الشعبية أين يتكلم السياسي بلسان المواطن البسيط -كما كان يفعل بورقيبة- فيخلق بذلك ألفة وحساسية في علاقته بالشعب ويزيح الكثير من الحواجز والرسميات

في سبيل إقناعهم أو التأثير فيهم. كما أنه كلما اتسعت مواضيع الخطاب السياسي كلما اتسع معها مدى إمكانية توظيفه والخطاب محل هذه الدراسة خير دليل، حيث كان لموضوع التعليم والمدرسة حيز معتبر من الخطابات السياسية للرئيس التونسي، فتم توظيفه على الشكل الموضح آنفاً في هذا البحث.

— **علاقة الدولة والشعب بالشخصية بعد إنتهاء فترة حكمها** : قد لا يكون هذا العامل مؤثراً في الدول الديمقراطية التي تمارس فيها التعددية والتداولية بشكل طبيعي ولا تتدخل السلطة الحالية في تاريخ الدولة ولا في ذاكرة الشعوب، ولكن في دول العالم الثالث يبقى هذا العامل حاضراً لأنه في العديد من الحالات تعمل السلطة على تهميش ومحو قيادات وشخصيات سياسية سابقة²⁹ فيصير ذكرها من الممنوعات التي قد تنجم عنها عقوبات صارمة تصل للسجن، فما بالك بمحاولة توظيف تراث أو خطاب تلك الشخصية في عمل فني أو بحثي أو تذكاري.

— **الوضعية الحالية للدولة والشعب** : ذلك أن تحسن الأوضاع عبر الزمن أو تدهورها قد يؤثر في الحكم والعلاقة بالشخصيات والفترات الماضية، فإذا كان الوضع قد تطور بسبب قرارات وسياسيات لشخصيات سابقة فإن المواطنين يعملون على تقدير وتكريم تلك الذكرى، وإن ساءت الظروف بعد تلك الفترة فإنهم يعودون للإستنتاج بفكرها وسياستها... وإن كان سبب التطور هو القيادة الجديدة نظراً لسوء تسيير الحكام السابقين فإن المواطنين لن يسعوا لتذكرهم ولا لتمجيدهم ولا لتوظيف حضورهم بأي شكل من الأشكال.

5. خاتمة:

لقد تم توظيف الخطاب السياسي للرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" في مسلسل "فلوجة" بعدة طرق ظاهرة وضمنية، ولقد أشرنا من خلال التحليل للتمازج الكبير بين أفكار الخطاب في موضوع التربية والتعليم وإشكالية المدرسة، وبين ما نادى به المخرجة من خلال أحداث المسلسل، وتجدر الإشارة في هذا المقام لأن مفهوم الخطاب السياسي يمتد مفهوم عند توظيفه في سياق دارمي أو فني ليشمل الخطابات والمحاضرات وحتى الحوارات الرسمية، على إعتبار أنها كل تعتبر وسائل ومضامين لمخاطبة الشعب والتواصل معه.

لقد كان الرئيس التونسي بورقيبة يحرص من خلال خطابه على تأكيد سياساته تجاه المدرسة وقطاع التربية عموماً، حتى أنه يعتبر أن معركة التعليم هي النضال الحقيقي وليس جهاد التحرير ضد المستعمر الفرنسي، وتم توظيف خطابه السياسي في مسلسل فلوجة في إطار ثنائية الماضي والمستقبل، من خلال الإستعانة بخبرات الماضي من أجل حل مشاكل الحاضر وبناء مشروع المستقبل، وكثيراً ما تطبق هذه الإستراتيجية في المجال السياسي والإعلامي عموماً، ويمكن اعتبار هذا التوظيف نداءً صريحاً ومباشراً للإستعانة بالتراث البورقيبي في إنقاذ المدرسة لأنه أول من وضع أسس التعليم والتدريس في تونس منذ توليه الحكم وحتى قبل ذلك أثناء نضاله، ولكن لا يمكن أن نغفل أن منظور بورقيبة في بناء التعليم في تونس ليس إلا إمتداداً للمدرسة الفرنسية شكلاً ومضموناً، فمع أن السبب الأساسي للتجهيل والأمية التي كانت منتشرة لدى الشعب التونسي هو الإستعمار الفرنسي، إلا أن سياسة بورقيبة بعد الإستقلال استعانت بفرنسا من أجل التكوين والتنشئة في قطاع التعليم.

حيث كان مقتطف الخطاب الأكثر تكراراً في المسلسل وهو ذلك الموظف في الجينيرك بطبيعة الحال، هو ذات المقطع الذي يتحدث فيه الرئيس باللغة الفرنسية في حوار مع الصحفي الفرنسي في زيارته الرسمية الأولى إلى فرنسا سنة 1972، مشيراً إلى أن ما حققه في بناء تونس وتنشئة شعبها سيدوم من بعده، وهذا التوظيف والتكرار كذلك يحث على العودة لتبني النموذج السابق في قطاع التربية.

لا بد أن يختم البحث العلمي في أي موضوع بطرح تساؤلات أخرى تفتح آفاق جديدة للبحث، إذ يبقى الجدل قائماً حول توظيف الخطاب السياسي للرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" في مسلسل "فلوجة" بين ما إذا كانت الأحداث قد بنيت للتوافق مع الخطاب السياسي والفكر البورقيبي أم أن الخطاب السياسي جاء في النهاية كإضافة وتأكيد لرسالة العمل فحسب؟

الهوامش:

- ¹ علاء مصطفى، السيميائية في الخطاب السياسي، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 24-25، 2014، ص 61.
- ² حمدي النورج، تحليل الخطاب السياسي في ضوء نظرية الإتصال اللغوي، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2014، ص 15.
- ³ كرميل وليد حسن صبح، تأثير الخطاب السياسي الرسمي للسلطة الفلسطينية على تأييد النخبة السياسية لسياساتها العامة (2012-2015)، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2016، ص 22.
- ⁴ عادل النادي، مدخل الى فن كتابة الدراما، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر، تونس، ط 1، 1987، ص 9.
- ⁵ اسماعيل عبد الحافظ العبسي، دلالة البناء القيمي في قوة وضعف الدراما التلفزيونية العربية دراسة تحليلية مقارنة أنموذج مصر سورية اليمن الجزائر المجلة الدولية للاتصال الإجتماعي، المجلد 4، العدد 10/9، 2017 ص 162

توظيف الخطاب السياسي في الدراما التلفزيونية

- خطاب الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" في مسلسل "فلوجة" أمثودجاً -

- ⁶ عزة أحمد هيكل، الدراما التلفزيونية رحلة نقدية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2016، ص 19 بتصرف.
- ⁷ إسماعيل عبد الحافظ عيسي، استراتيجية الاتصال الثقافي في دراما المسلسلات التلفزيونية العربية نموذج اليمن الجزائر مصر سوريا دراسة تحليلية مقارنة، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر3، قسم علوم الإعلام والاتصال، 2012/2013، ص 163 بتصرف.
- ⁸ الطاهر بلخوجة، الحبيب بورقيبة سيرة زعيم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1999، بتصرف.
- ⁹ الموقع الرسمي لمنظمة الحبيب بورقيبة،
<https://www.bourguiba.com/language/ar/fondation-habib-bourguiba/>
- ¹⁰ عبد السلام القلال، الحبيب بورقيبة زعيم أمة ورئيس دولة، أوميقا للنشر، 2021، ص 27.
- ¹¹ للإستزادة حول تدخل الوزير ومحاولات توقيف المسلسل :
https://www.youtube.com/watch?v=aqOYUnzZs_4
- ¹² بن عمروش فريدة، المقاربة الكمية والكيفية في ضوء التجربة البحثية في علوم الإعلام والاتصال، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 12، العدد 5، سبتمبر 2020، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص 299 ص 300.
- ¹³ أحمد بن مرسل، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص 286.
- ¹⁴ بن عمروش فريدة، مرجع سابق، ص 299.
- ¹⁵ غازي عزيزان الرشيد، أسلوب تحليل المحتوى النوعي : رؤية تحليلية، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد 45، الجزء الأول، 2021، ص 81.
- ¹⁶ غازي عزيزان الرشيد، مرجع سابق، ص 90.
- ¹⁷ تصريحات المؤلفة والمخرجة سوسن الجمي في برنامج فكرة سامي الفهري على قناة الحوار التونسي، بتاريخ 15 أفريل 2023
https://www.youtube.com/watch?v=Q_5CoNBckNY
- ¹⁸ نقلاً عن التقديم الذي ألقاه الصحفي محمد قاسم المسدي في بداية الخطاب.
- ¹⁹ نقلاً عن التقديم الذي ألقى في بداية المحاضرة، الدقيقة 3 و 58 ثانية.
- ²⁰ يؤكد بورقيبة على ربط مفهوم نضاله في مجال التعليم بالجهاد، ويصفه بالجهاد الكبير أو النضال الحقيقي، كما يطلق عليه "المجاهد الأكبر" ولمسنا هذا كذلك في مواضع أخرى مثل تقديم الصحفي الذي وصف عمل الرئيس "بالجهاد في القطاع" أي قطاع التربية والتعليم.
- ²¹ نقلاً عن التقديم الذي ألقى في بداية المحاضرة، الدقيقة 5 و 49 ثانية.
- ²² Mohamed larbi haouat, Habib Bourguiba le combattant suprême, édition centre culturel du livre, 2019, p 44.
- ²³ حيث مثلت شخصية نور التضحية، وشخصية الأستاذ مجدي الإستغلال، وشخصية المديرية ليلي العقلانية والصرامة وشخصية العون الإداري لسعد المادية...
- ²⁴ خطاب يوم 29 جوان 1968 بمناسبة نهاية السنة الدراسية.
- ²⁵ حادثة عين السنوسي التي وقعت تحديداً في منطقة عمدون التابعة لولاية باجة في شمال غربي تونس هي حادثة انقلاب حافلة سياحية في تونس كانت تقل 43 شخصا من منحدر جبلي حاد وسقوطها في مجرى واد خلف ما ينهاز 30 قتيلاً و 17 جريحاً ،

وكانت الحافلة متجهة من تونس العاصمة إلى مدينة عين دراهم الجبلية في إطار رحلة ترفيهية سياحية قام بها مجموعة من الشباب التي تتراوح أعمارهم بين 20 و30 سنة، وقد اهتز الرأي العام التونسي بسبب هذه الحادثة، لأن المنطقة مهمشة منذ سنوات وليست هذه المرة الأولى التي تقع بها مثل هذه الحوادث، حتى أن الرئيس حضر شخصياً للمنطقة، كما قد غطت الحادث وسائل إعلامية عالمية وتدخلت حتى منظمة الأمم المتحدة في القضية.

²⁶ تصريحات المؤلفة والمخرجة سوسن الجمي في برنامج فكرة سامي الفهري على قناة الحوار التونسي، بتاريخ 15 أفريل 2023 https://www.youtube.com/watch?v=Q_5CoNBckNY

²⁷ لقد شهد توظيف مقتطفات الرئيس بورقيبة ردود أفعال واسعة لدى الجمهور التونسي بكافة أطرافه، فبعد ما تداوله المشاهدون والصفحات الكبرى على مواقع التواصل الاجتماعي، ارتبط الأمر بصناعة عدد كبير من "الميمز" والنكت، كما كان موضوع العديد من البرامج والحصص التلفزيونية والإذاعية في تونس، وتمت مناقشته مع مجموعة واسعة من الفنانين والمدونين والصحفيين.

²⁸ لم يكن لخطابات الحبيب بورقيبة أثر وطني فحسب، بل حتى خطاباته العربية والعالمية كانت ذات صدى وتأثير
Hedi Behi, il ya 50 ans, le discours qui a failli changer le cours de l'histoire au proche-orient, Bourguiba : Quinze ans déjà, éditions leaders, 2015, p64.

²⁹ وقد أثبت هذا بعض الباحثين التونسيون أنفسهم من خلال دراسة مؤشرات مختلفة منها صورة الشخصيات التاريخية في الكتاب المدرسي

Aroua Labidi, La perception de Bourguiba à travers trois manuels d'histoire, Revue Rawafid, n21, 2016.

6. قائمة المراجع:

- أحمد بن مرسل، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.
- اسماعيل عبد الحافظ العبسي، دلالة البناء القيمي في قوة وضعف الدراما التلفزيونية العربية دراسة تحليلية مقارنة أنموذج مصر سورية اليمن الجزائر المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، المجلد 4، العدد 10/9، 2017.
- إسماعيل عبد الحافظ عبيسي، استراتيجية الاتصال الثقافي في دراما المسلسلات التلفزيونية العربية نموذج اليمن الجزائر مصر سوريا دراسة تحليلية مقارنة، المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، المجلد 4، العدد 9 و10، 2017.
- بن عمروش فريدة، المقاربة الكمية والكيفية في ضوء التجربة البحثية في علوم الإعلام والاتصال، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 12، العدد 5، سبتمبر 2020.
- حمدي النورج، تحليل الخطاب السياسي في ضوء نظرية الاتصال اللغوي، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2014.
- الطاهر بلخوجة، الحبيب بورقيبة سيرة زعيم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1999.
- عادل النادي، مدخل الى فن كتابة الدراما، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر، تونس، ط1، 1987.
- عبد السلام القلال، الحبيب بورقيبة زعيم أمة ورئيس دولة، أوميقا للنشر، 2021.
- عزة أحمد هيكل، الدراما التلفزيونية رحلة نقدية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2016.
- علاء مصطفى، السيميائية في الخطاب السياسي، المجلة للباحث الإعلامي، العدد 24-25، 2014.

- غازي عنيزان الرشيد، أسلوب تحليل المحتوى النوعي : رؤية تحليلية، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد 45، الجزء الأول، 2021.
- كرم وليد حسن صبح، تأثير الخطاب السياسي الرسمي للسلطة الفلسطينية على تأييد النخبة السياسية لسياساتها العامة (2012-2015)، أطروحة ماجستير، إشراف الدكتور رائد نعيّرات، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2016.
- الموقع الرسمي لمنظمة الحبيب بورقيبة،
<https://www.bourguiba.com/language/ar/fondation-habib-bourguiba/>

- Aroua Labidi, La perception de Bourguiba à travers trois manuels d'histoire, Revue Rawafid, n21, 2016.
- Hedi Behi, il ya 50 ans, le discours qui a failli changer le cours de l'histoire au proche-orient, Bourguiba : Quinze ans déjà, éditions leaders, 2015.
- Mohamed larbi haouat, Habib Bourguiba le combattant suprême, édition centre culturel du livre, 2019.